من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



الحمامة الأميرة

١

اعداد : راجي عنايت

رسوم : بَهجت عثمان

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

من وَحي كليلة ودمنة



الحمامة الأميرة

اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان
مسح ضوئي واعداد : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

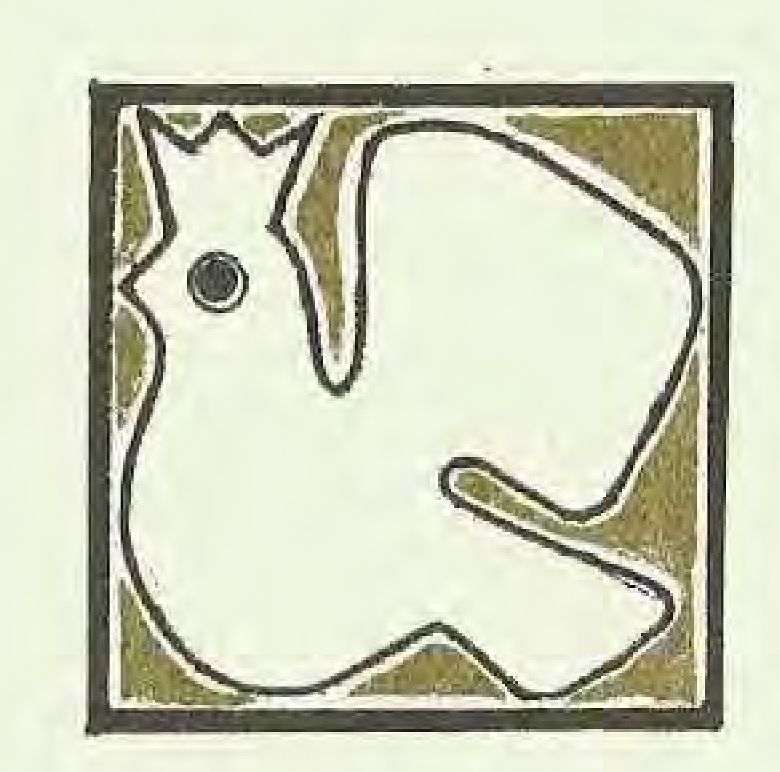


الطبعة الاولى
١٩٧٧

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة - ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب: ١٩٥١١٩
برقيا: موكيالي - بيروت


الحمامة
الأميرة



قالت الدمامة الأميرة لصاحباتها « لقد حان الوقت .. هيا بنا نبدأ رحلة كل يوم . نطير فوق الانهار والأراضي الواسعة ، لنستمتع بجمال منظرها .. تعالوا ننظر إليها من فوق ، فتظهر لنا بألوانها وأشكالها الكثيرة المفرحة .. نرى الشمس ترسل أشعتها الذهبية الى سطح الأرض فيبدو كل شيء يلمع ويبرق .. هيا بنا يا صاحباتي نحلق في الجو ، نصعد عاليا ، ونرى المناظر العجيبة ، التي لا نراها ونحن واقفات على شجرتنا هذه » .

تحركت اجنحة الحمام وخفقت ، تعبر عن فرحتهم بالرحلة القادمة .. فاهتزت أغصان الشجرة الكبيرة وأوراقها . ووسط هذه الاصوات ، ارتفع من شجرة قريبة صوت الغراب الوحيد « كاك .. كاك .. كاك .. » .



سكت الحمام ، وهدأت حركته . ثم نظرت الحمامة الأميرة الى جارها الغراب وقالت « صباح الخير أيها الجار العزيز » .

قال الغراب « صباح الخير ، أيتها الحمامة الأميرة .. أراكن تتهيأن للرحيل .. الى أين أنتن ذاهبات ؟ » .

أجابت الحمامة الأميرة « لن نذهب الى مكان بعيد .. إنها رحلة كل يوم .. وبعد قليل نعود الى شجرتنا » . ظهر الحزن على الغراب ، فضم جناحيه الى جسمه ، وخفض رأسه .. وبقي بلا حركة فوق الغصن الذي يقف عليه .

سألت الحمامة الأميرة « ماذا حدث ؟.. لماذا أنت اليوم حزين ؟ » .

قال الغراب وهو يتنهد « لم يفارقني الحزن يوما واحدا ، كلما بدأت رحلتكن هذه .. ومنذ أن أصبحت جارا لكم .. في كل مرة أحس بالخوف .. عندما أرى نفسي وحيدا ، لا يسليني صديق أو زميل » .

سكتت الحمامة قليلا ، وظهر عليها الأسف لحزن الغراب ، ثم سألته « ولماذا لا تبحث لك عن أصدقاء من الغربان ، تحادثهم .. وتطير معهم .. وتشاركهم الطعام والنوم .. كما أفعل أنا مع صاحباتي ؟ » .
أجاب الغراب ، وهو ينظر حزينا الى بعيد « كان لي أصدقاء .. هناك ..



على الجانب الآخر من التلال .. أهل وأصدقاء من الغربان .. وكنا نطير معاً مثلكم .. ونتجمع في الفضاء مثل سحابة سوداء لامعة ، تحجب أشعة الشمس .. » .

قالت الحمامة متعجبة « وأين ذهب الأهل ؟.. وأين راح الاصدقاء ؟ » .

صمت الغراب قليلا ، ثم قال « ذهبوا .. طاروا ذات يوم .. ولم يعودوا .. » . فقالت الحمامة « ولكن .. كيف ؟.. » .



قال الغراب « اعلمي أيتها الصديقة .. انني كنت وسط أهلي .. أكثرهم حباً للهدوء .. ورغبة في التأمل . وفي ذلك اليوم الحزين ، تركتهم يتصايحون فوق الاشجار .. وترتفع صيحاتهم .. كاك .. كاك .. كاك ... فطرت مبتعدا عن مكانهم .. وكلما ابتعدت ، خفت أصواتهم .. فهدأت نفسي . حتى وصلت الى النهر .. واخترت صخرة بارزة وسط مجراه ، فجلست فوقها .. وكنت أستمتع بالصوت الرقيق الهادىء للمياه وهي ترتطم بالصخرة » .

قالت الحمامة الأميرة ، وقد زاد شوقها لسماع هذه القصة الغريبة « وبعد ؟ » .

قال الغراب « نسيت نفسي .. فمرت الساعات .. وأنا جالس على الصخرة .. أستمتع بالهدوء وجمال الطبيعة .. وعندما انتبهت لنفسي ، كانت الشمس على وشك الغروب .. فأسرعت الى أهلي قبل أن يحل الظلام .. فوجدت مفاجأة في انتظاري .. لقد اختفوا جميعا ! » .

أثارت هذه القصة حماس الحمامات فوق الشجرة الكبيرة ، وأخذت كل حمامة تسأل سؤالا « كيف ؟.. ماذا حدث ؟.. ماذا وجدت ؟.. » . فأشارت إليهن الحمامة الأميرة ، تطلب منهن الصمت ، وقالت للغراب « أكمل .. فهذه قصة غريبة » .

قال الغراب « أخذت أنتقل من شجرة الى أخرى .. أبحث .. وأصيح .. وأنادي .. ومضى الليل كله .. لم تغمض لي عين . وفي صباح اليوم التالي ، ومع شروق الشمس .. طرت الى كل مكان ، أبحث عنهم .. ولكن بدون نتيجة .. ومرت أيام وأيام .. وأنا أبحث ثم اعود الى الشجرة منتظرا عودتهم .. حتى عرفت في النهاية ، انني لن أراهم بعد ذلك . وفهمت انهم لا بد قد هاجروا الى مكان بعيد ، عندما شعروا بخطر يهدد حياتهم في ذلك المكان .. » .

قالت الحمامة وفي عينيها نظرة حزينة « مـــاذا حدث بعـــد ذلك ؟.. » .

قفز الغراب الى غصن قريب من الحمامة ثم قال « لم أتحمل الوحدة .. فقد مضت عدة أيام لا أقابل احداً ، أو أتحدث الى أحد .. فطرت مبتعدا عن المكان .. ابحث عن صديق أو زميل ، يعوضني عن فقد الأهل . وكنت كلما ذهبت الى مكان ، أجد معاملة سيئة ، وأرى الطيور تهرب مني .. حتى وصلت الى شجرتكن هذه .. ووجدت منكن المعاملة الطيبة والصداقة والود .. فبقيت هنا » .

سكت الجميع بعد أن انتهى الغراب من كلامه .. وقالت الحمامة الأميرة بصوت حزيـــن « ولماذا وجـــدت تلك المعاملـــة السيئـــة من الطيور ؟.. » ..

قال الغراب وهو يتألم « بسبب لوني الأسود .. ما أن أصل الى مكان ... حتى يهرب الجميع وهم يصيحون .. ابعد عنا .. لونك اسود .. وصوتك قبيح » .

قالت الحمامة غاضبة « وهل كان اللون يوما ، وسيلتنا للحكم على الآخرين ؟.. وهل يمنع اللون الأسود من طيبة القلـــب .. وسمـــو الاخلاق .. وذكاء العقل ؟.. ذلك كلام في منتهى الغرابة .. » .

صمت الغراب طويلا .. وقد أعاد اليه ذلك الحديث ، ذكرياته الحزينة التي كاد أن ينساها ، بعد صداقته للحمام . وأحست الحمامة الاميرة ، أن خير ما تفعله الآن ، هو أن تنصرف مع صاحباتها .. وأن يتركن الغراب في هدوء ... حتى يذهب عنه حزنه . رفرفت بجناحيها استعدادا للطيران ، فتبعها الحمام ، ورفع الغراب رأسه ، واخذ ينظر اليهن ثم قال « بالله .. لا تتأخرن .. فأنا أبقى قلقاً حزيناً طوال غيبتكن .. وفي كل مرة اظن انكن ستذهبن ولا تعدن ثانية ..وأنني سأبقى وحيدا بلا أصدقاء » .

قالت الحمامة الأميرة ، وهي تطير قريبا منه « لا تخف .. انها رحلة قصيرة ، نعود بعدها لنتحدث معاً .. الى اللقاء أيها الصديق » .

وطارت الحمامة الأميرة ، فتبعها سرب الحمـــام .. ورفرفـــت الأجنحة البيضاء ، في أصوات كأنغام الموسيقى .. والغراب ينظر اليهن ، وهن يبتعدن في الفضاء .. حتى اصبحـــن مثل نقط بيضاء صغيرة تبرق تحت أشعة الشمس .



طار الغراب حول شجرته عدة مرات .. ثم عاد الى مكانه فوق شجرته ، ينظر الى الفضاء ، ويستعيد ذكريات حياته السابقة .. عندما كان صغيراً ، يصاحب أمه في طيرانها .. ناظراً اليها في انتباه شديد .. يحرص على ألا تفوته حركة من حركاتها .. حتى يقلدها ويتعلم منها أصول الطيران .

انتبه الغراب على أصوات أقدام قريبا من شجرته .. وسمع الاغصان اليابسة تتكسر تحت هذه الاقدام . نظر بحرص ، فرأى رجلاً ضخما يلقي على الأرض ، بواحدة من شباك الصيد التي يحملها على كتفه . اخذ الرجل يبسط شبكة الصيد على الأرض ، ويخفيها عن العيون بأوراق الشجر اليابسة . أدخل الرجل يده الى كيس مربوط الى وسطه ، وأخرج بعض الحبوب ، نثرها فوق مكان الشبكة . عندما انتهى الرجل من عمله ، انتقل الى مكان آخر يضع فيه شبكة صيد ثانية ، وهو بين وقت وآخر .. ينظر الى السماء منتظراً هبوط الطيور . أخذ الرجل يبتعد حتى اختفى عن نظر الغراب .

أصاب الغراب خوف شديد . وخشي ان ينخدع الحمام فلا يرى شبكة الصيد ، فيهبط ليلتقط الحب ويقع في الشبكة .. أخذ الغراب ينتقل من غصن الى غصن ، يفكر في طريقة ينبه بها صديقاته . ووقف أخيرا



على غصن قريب من الشبكة لا يتحرك ، ينظر الى الفضاء باحثا عن سرب الحمام .

مضى وقت طويل والغراب يقف في مكانه .. واشتد خوفه على الحمام .. فلم يصبر على وقفته فوق الغصن ، وأخذ يحلق حول الشجرة باحثاً عن سرب الحمام ، ثم راح يطير هنا وهناك دون ان يعثر على أثر لسرب الحمام . زاد قلقه .. فأخذ يطير وهو يصيح « كاك .. كاك .. كاك .. » ، يهبط قليلا لينظر الى الشجرة والشبكة التي تحتها ، ثم يصعد في الفضاء الى أعلى ارتفاع باحثاً في كل اتجاه عن الحمام . وكانت أشعة الشمس المحرقة تسقط على عينيه ، فتبدو المناظر لعينيه حمراء ملتهبة .



اقبلت الحمامة الأميرة مع صاحباتها ، وقد ظهر عليهن التعب من أثر الرحلة الطويلة التي قمن بها . وهبط الحمام على اغصان الشجرة الكبيرة ، فنظرت حمامة الى الأرض أسفل الشجرة ، ورأت الحبوب التي نثرها الصياد ، فتعالى صياحها وقالت للحمامة الأميرة « انظري ..

انظري الى هذا الرزق الوفير .. ثروة من الحبوب نسد بها جوعنا ، بعد تعب الرحلة التي قمنا بها .. هيا .. هيا بنا نستمتع بهذا الطعام الوفير .. » .

طار الحمام الى الأرض نحو الحبوب ، وكان الغراب في طريقه الى الشجرة ، وعرف أن الحمام لم ينتبه الى شبكة الصياد ، فأسرع يهبط بكل قوته ، وهو يصيح بأعلى صوت « كاك .. كاك .. كاك .. » . فضحك الحمام ، وظن أن صياح الغراب هو للترحيب به . فقالت له احدى الحمامات « أهلاً أيها الصديق .. هيا اسرع لتشاركنا هذه الوجبة الدسمة » .

عندما وصل الغراب اليهن ، كانت الشبكة قد أحاطت بالحمامات كلها .. فارتفعت صيحات الخوف والفزع والألم ، تغطي على صيحات الغراب .



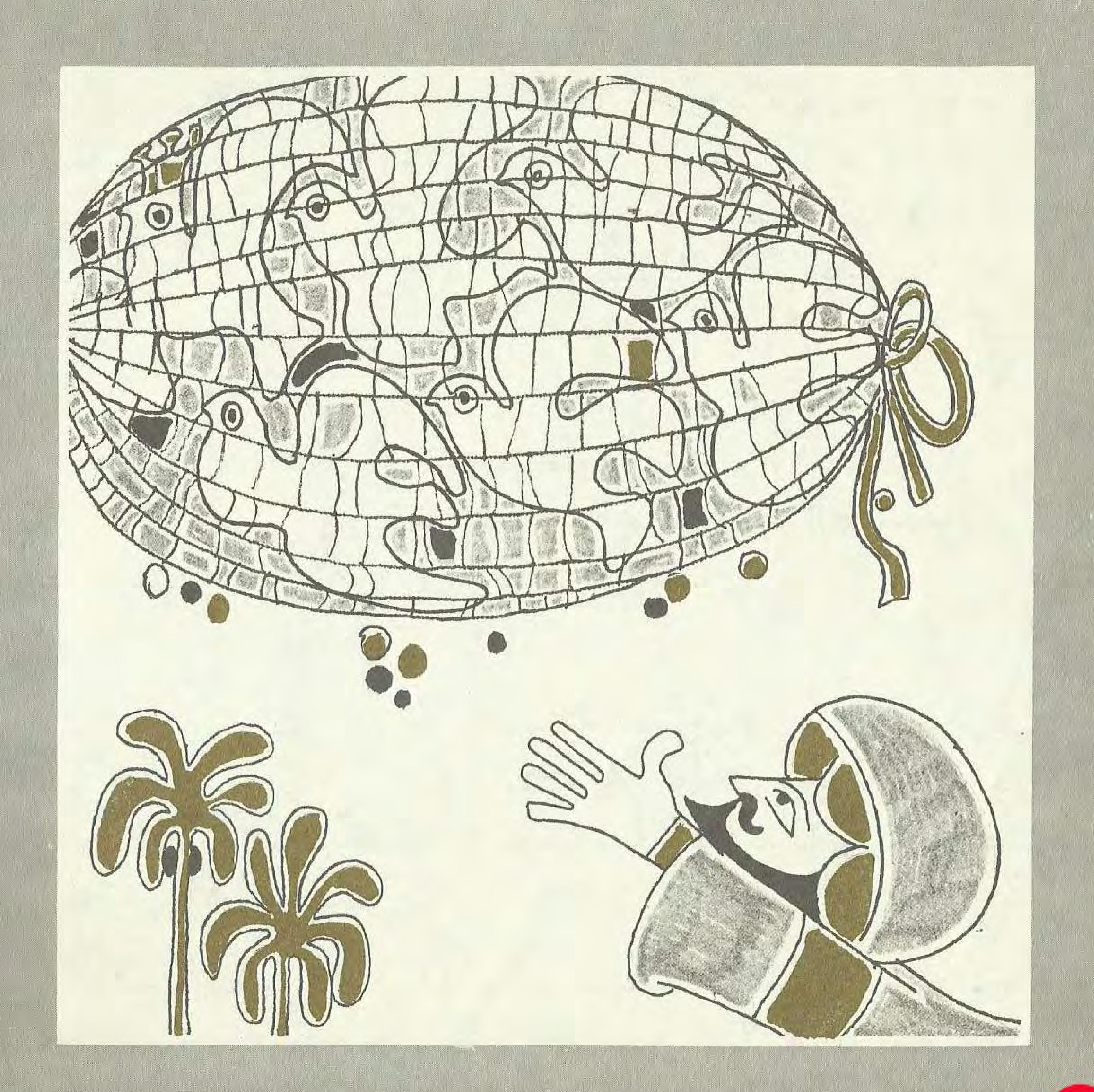
اشتد الخوف بالحمامات .. وأخذت كل واحدة تصيح وهي تضرب حبال الشبكة بجناحيها ، كأنها تريد أن تمزق الحبال .. وارتفع صوت

الحمامة الأميرة وهي تقول « كفى .. كفى .. ما هذا الجنون ؟.. لقد وقعنا في الشبكة ، وعلينا أن نفكر في هدوء ، عن وسيلة ننقذ بها أنفسنا » . غير أن الحمام عاد الى الصراخ والصياح .. « لقد ضعنا .. النجدة .. هل من منقذ ؟ .. » . هنا ، صاحت الحمامة الأميرة في صوت قوي « النجدة ؟.. من الذي يستطيع إنقاذنا ؟.. ان صياحكن هذا ، سيلفت نظر الصياد .. يجب أن نبحث عن حل ، قبل أن يأتي .. وتضيع أي فرصة في النجاة » .

قال الغراب للحمامة الأميرة بصوت حزين « ألا يمكنني ان أفعل شيئا ؟.. » ، ثم راح يخبط حبال الشبكة بمنقاره . فقالت الحمامة « لن تنجح في هذا أيها الصديق ، فالحبال متينة أقوى من منقارك .. ابتعد قليلا فقد وصلت الى فكرة » .

ابتعد الغراب ، وقالت الحمامة لصاحباتها « استمعن جيدا لكلامي .. عندما أعطي إشارة الابتداء ، عليكن جميعا ، وفي نفس الوقت ، أن ترفرفن بأجنحتكن ، حتى نطير كلنا دفعة واحدة ، فننزع الشبكة من الأرض ونطير بها .. » .

أعطت الحمامة الأميرة إشارتها ، فارتفع صوت الأجنحة المرفرفة في قوة وحماس .. وتحركت الشبكة الى أعلى قليلا . هنا ظهر الصياد



قادماً من بعيد يجري نحو الشبكة ، فقالت الحمامة « هيا .. بكل قوة .. قبل أن تضيع الفرصة » . وفجأة .. ارتفعت الشبكة في الهواء ، وقد خلعت الحبل الذي يربطها بالأرض . وعندما وصل الصياد الى مكان الشبكة ، كانت قد ارتفعت في الهواء .. أعلى من أن تصل إليها يداه الممدودتان الى أعلى في يأس .

صاح الغراب فرحاً بنجاة الحمام « كاك .. كاك .. كاك .. » ، فاغتاظ الصياد ، وتناول حجرا من الأرض قذف به الغراب . انتبه الغراب لحركة الصياد ، فأسرع بالتحليق في الجو ، يتبع سرب الحمام الذي يطير داخل الشبكة .. وأمله كبير في أن تجد الحمامة الأميرة طريقة تخرج بها هي وصاحباتها من هذه الشبكة .



أخذت الحمامة الأميرة تشجع صاحباتها أثناء طيرانهن قائلة « هيا يا صاحباتي ، لتكن حركة الاجنحة قوية ومنظمة حتى نصل الى هدفنا .. لقد نجحنا في الخطوة الاولى ، بفضل التعاون .. وسننجح في الخروج من هذه الشبكة ـ باذن الله ـ اذا تمسكنا بهذا التعاون » .

وراح الغراب يطير خلف السرب على مسافة قصيرة منه ..وهو يحدث نفسه قائلا « الى أين تذهب الحمامة الأميرة بسربها ؟.. » .

بعد رحلة طويلة متعبة .. وصل السرب الى قطعة أرض خالية ، ليس بها سوى عدة اشجار يابسة سقطت اوراقها وأصبحت أغصانها يابسة . هبط السرب داخل شبكته الى الأرض . وأخذ الغراب يحلق فوق المكان في دورات قصيرة ، ثم هبط على شجرة قريبة من مكان الحمام ، ونظر الى أسفل ليعرف ما سيحدث .

استراحت الحمامة الأميرة قليلا ، ثم صاحت بأعلى صوتها « أيها الصديق .. أنقذنا .. » . تعجبت الحمامات لقول الحمامة الأميرة ، وتحدثن الى بعضهن البعض بصوت منخفض « هل تتحدث الأميرة الى نفسها ؟!.. من هو هذا الصديق الذي تناديه في هذا المكان الخالي ؟.. » .

ارتفع صوت الحمامة الأميرة مرة ثانية « أيها الفأر الصديق .. أنا الحمامة صديقتك القديمة .. هل تذكرني ؟.. » . خرجت من جوف الأرض بعض الاصوات ، فسكتت الحمامات تماما ، وعادت الحمامة الأميرة لتقول « ليس معي سوى صاحباتي .. حمامات السرب .. لقد وقعنا جميعا في مشكلة .. ونحتاج الى مساعدتك » .



أصبحت الأصوات التي تأتي من جوف الأرض أكثر ارتفاعاً .. ومن داخل فتحة بالأرض ، لمعت عينان صغيرتان ، وتحركت شوارب سوداء .. ثم اختفت سريعا ، فصاحت الحمامة الأميرة « هيا .. أسرع .. إننا في أشد الحاجة الى مساعدتك » .

أخيراً .. ظهر الفأر ، يتلفت حوله في حذر .. ثم اطمأن ، فاقترب مسرعا من الحمامة الأميرة . وقد ظهرت عليه الدهشة لوجودها هي وصاحباتها داخل الشبكة .. وقال « مرحبا يا صديقتي .. ما هذا الذي أراه ؟.. كيف حدث ذلك ؟.. وأنت معروفة بحرصك ، وحسن تفكيرك في أي عمل تقومين به ؟ » . قالت الحمامة بأسف « هذه قصة طويلة .. وها أنت ترى نتيجة التسرع قبل التفكير الطويل .. لقد كدنا ان نقع جميعا في يد الصياد .. لولا وصولنا الى التصرف السليم في اللحظة الأخيرة .. هيا تقدم ، واقطع هذه الحبال بأسنانك الحادة القوية » .

اقترب الفأر ، واخذ يقرض الحبال التي تحيط بالحمامة الأميرة وهو يقول « اطمئني ، فأسناني ما زالت كما كانت حادة قاطعة .. قادرة على قطع هذا الحبل » .

صاحت الحمامة الأميرة « لا .. لا .. ارجوك .. ابدأ بصاحباتي .. » .

قال الفأر معاتباً « وهل تظنين ، انني سأهمل صاحباتك ؟!.. » .

قالت الحمامة « لا .. ولكن أخشى أن يصيبك التعب .. فتنقذ البعض .. وتترك البعض الآخر في الشباك .. ابدأ بهن .. وأنا واثقة انك ستنقذني .. اذا أنا بقيت حتى تنتهي من انقاذهن جميعا » .

ابتسم الفأر في سعادة ، وقال « يا صديقتي .. هذه هي الأخلاق التي تجعلني أحبك .. ان صفة التضحية بالنفس في سبيل الآخرين ، هي التي تجعلني أتمسك بصداقتك .. سمعا وطاعة أيتها الصديقة الكريمة .. » .



أخذ الفأر يقرض الحبال بأسنانه ، فتخرج الحمامات ، واحدة وراء الأخرى ، فرحات بالحرية ، يطرن في الهواء قليلا ثم يهبطن الى الأرض في سعادة .. ينتظرن خروج الحمامة الأميرة من الشبكة في شوق شديد .

وجاءت هذه اللحظة .. فخرجت الحمامة الأميرة من الشبكة .. تسير في سعادة وسرور . وراحت تشكر الفأر على خدماته .. وجهوده



التي أعادت اليهن الحرية ، والأمل في الحياة .

طوال ذلك الوقت ، كان الغراب يقف ساكناً على غصن الشجرة ، لا يشعر احدٌ بوجوده .. ينتظر لحظة خروج صديقته الحمامة الأميرة من الشبكة . فما إن حدث ذلك ، حتى بلغت سعادته غايتها .. ولم يستطع ان يكتم فرحته بهذه النهاية السعيدة .. فصاح بأعلى صوته يعبر عن فرحته « كاك ..كاك .. كاك .. » .

ما إن سمع الفأر هذا الصياح ، حتى كان في أقل من لمح البصر ، قد عاد ليختفي داخل جحره في بطن الأرض ، وقد أصابه الفزع لوجود ذلك الطائر الذي لم ينتبه لوجوده قبل ذلك .

نظرت الحمامة الأميرة الى الجهة التي جاء منها هذا الصوت ، فوجدت الغراب يرفرف بجناحيه سعيدا . فطارت اليه ، ومن خلفها سرب الحمام بأكمله . وقالت له ضاحكة « لقد أفزعت صديقنا الفأر .. » .

قال الغراب آسفا « لم يكن ذلك قصدي .. كنت سعيدا بنجاتكن .. فلم أستطع أن أكتم فرحتي وصياحي » . قالت الحمامة « نحن نعرف شعورك الطيب ايها الصديق العزيز » ، ثم التفتت الى صاحباتها وقالت « يجب علينا أن نسرع بالتحرك .. فلا بد أن نبحث لنا عن مسكن جديد .. فالصياد بعد أن عرف طريق بيتنا .. لن يتركنا

نعيش في سلام » ، ونظرت الحمامة الى الغراب ثم قالت « وأنت .. هل ستأتي معنا ؟ » .

سكت الغراب قليلا ، ثم تطلع الى الأرض وهو يقول « بل سأبقى هنا .. هذا مكان هادىء .. كما أنني أعجبت بصديقك الفأر .. وما أظهره من صداقة ووفاء .. لقد فكرت في أن أبقى هنا .. وأحاول أن أكسب صداقته » .

قالت الحمامة الأميرة « لقد سعدنا بصحبتك ، وكنا نتمنى أن تبقى معنا » .. فقال الغراب في خجل « لقد كنت السبب فيما حدث لكن .. لو كنت أكثر انتباها .. وأحسن تدبيرا .. لاستطعت أن أنبهكن قبل أن تقعن في شباك الصياد » وصمت قليلا ثم قال « كما أنني لم أستطع مساعدتكن بقطع الحبال كما فعل الفأر » .

اقتربت الحمامة الأميرة من الغراب ، وقالت بحنان « لا تقل هذا الكلام .. لقد فعلت كل ما في قدرتك .. وما حدث كان درساً لنا جميعا .. يجعلنا نفكر كثيراً قبل أن نندفع الى أي عمل .. فالعاقل هو الذي يفكر في كل خطوة يخطوها .. قبل أن يتحرك من مكانه .. » . هز الحمام رأسه موافقا على كلام الحمامة الأميرة ، فنظرت الى الغراب وقالت « لقد كنا سعداء بصداقتك .. وما دمت معجباً بالفأر وتسعى لصداقته .. فنحن

نتمنى لك التوفيق .. ونودعك خير وداع » .

شكر الغراب الحمامة الأميرة ، وتمنى لها السعادة والحرية الدائمة .. وطارت الحمامات في سعادة خلف الحمامة الاميرة . غير أن الحمامة الأميرة بعد أن طارت قليلا ، عادت مرة ثانية الى الغراب فوقفت الى جواره على غصن الشجرة وهي تقول « قبل ان أنصرف من هنا .. أحب أن أطلعك على أمر .. اعلم أن صديقي الفأر شديد الحذر .. وهو لا يمنح صداقته للآخرين ببساطة وسهولة .. فلا تجعل هذا يحزنك .. ولا تتصور انه مثل الآخرين الذين رفضوا صداقتك قبل هذا . أما اذا نجحت في اكتساب صداقته ، فتأكد انك ستسعد بهذه الصداقة ، ما بقي لك من العمر » .

طارت الحمامة الأميرة ، وتبعتها صاحباتها .. وأخذ الغراب يودعهن جميعا ، ملوحاً بجناحيه ، وهو يصيح « كاك .. كاك .. كاك .. » .